

هل بدأت الجولة الأولى من المفاوضات المباشرة بين القيادتين السعودية والホئيّة؟ وكيف نُقيِّم فرص الدّجاح والفشل؟



ولماذا نتمدّى أن يتوقف التطبيع عند تهنئة اليهود برأس سದتهم ولا تتطور إلى "عيد" قيام دولتهم وإجراء مراجعات شاملة لكُل الرّهانات على "الحـمايتين" الأمريكية والإسرائيلية؟
عبد الباري عطوان

بغضّ الظّر عن مدى صحة المعلومات المُتوترة هذه الأيام عن وجود اتصالات مُباشرة بين الأمير خالد بن سلمان، نائب وزير الدفاع والسيد مهدي المشاط ورئيس المجلس السياسي الأعلى في حركة "أنصار الله" الحوثيّة وحلفائها، فإنّ المملكة العربيّة السعودية لم تُعد قادرةً على مواصلة الحرب في اليمن بالرّغم نفسه بعد المُتغيّرات الكبّرى التي طرأت على موازين القوى في الأرض والسماء، في العام الأخير على وجه الخصوص، ولهذا فإنّ الحوار مع الخصم الذي صمد على الأرض هو الخيار الأكثر نجاعةً للخروج من هذه المصيدة الباهظة التكاليف.

التّغريدة التي كتبها الأمير خالد بن سلمان، نائب وزير الدفاع، وقال فيها "إنّ عرض التّهدئة الذي أعلنه عنه السيد المشاط تنظر إليه المملكة بإيجابيّة، كون هذا ما تسعى إليه دوماً وتأمل أن يُطبّق بشكلٍ فعليٍّ"، جاءت نتيجة مراجعات أجرتها القيادة السعودية توصلت في نهايتها إلى قناعةٍ بتحميم التفاوض مع نظيرتها في حركة "أنصار الله" الحوثيّة من ناحيّةٍ، وإيران من ناحيّةٍ أخرى، بعد أن أدركت أنّه لا الولايات المتحدة ولا الدولة العبرية قادرتان على توفير الأمان والحماية لها، وترجح كفّتها في هذه الحرب.

القلق الأساسي لهذه القيادة السعودية لم يعُد مَحصوراً في مسألة الذّمر أو الهزيمة في الحرب اليمنية، وإنّما مُستقبل حُكم آل سعود بالدرجة الأولى، واستمراره، وقد عبدت وكالة أنباء "رويترز" العالمية عن هذا القلق عندما تحدّث في تقاريره مُوثّقة لها عن وجود حالة غضب مُتفاقمة في أوساط هذه الأسرة تجاه السياسات التي يتّبعها الأمير محمد بن سلمان وللّي العهد السعودي والحاكم الفعلي، ليس تجاه اليمن فقط، وإنّما في ملفات إقليمية عديدة على رأسها المُبالغة في العداء لإيران ومحورها بـ"حربي" أمريكيّ.

الحوثيون أدركوا مُبكّراً هذا القلق السعودي في القمة والقاءـدة معـا، وأرادوا وربـما أخذوا بنصيحة لــيفهما في طــهران وبــيروت، أو أطرافــ غــربــة مــقرــة من الــريــاضــ، تقديم الســلــمــ للأمير بن سلمان للــنزــولــ من على قــمــة شــجــرةــ الأــزــمــةــ الــيــمــنــيــةــ، وتجــذــبــ مــحاــوــلــاتــ دــاخــلــيــةــ مــتــوــقــعــةــ لــلــإــطــاحــةــ بــهــ، مــنــ خــلــالــ العــرــضــ بــالــتــهــدــةــ مــنــ جــاــنبــ وــاــحــدــ، لــوــقــفــ الــغــارــاتــ الــجــوــيــةــ الســعــوــدــيــةــ أــوــ لــاــ، وــالــحــصــولــ عــلــ اــعــتــرــافــ بــشــرــعــيــةــ بــكــمــهــمــ فــيــ صــنــعــاءــ ثــانــيــاــ، وــدــقــ إــســفــينــ الــخــلــافــ بــيــنــ الســعــوــدــيــةــ وــالــحــمــاعــاتــ الــيــمــنــيــةــ الــأــخــرىــ الــمــدــعــوــمــةــ مــنــ قــبــلــهــاــ، وــخــاصــمــةــ الــحــكــومــةــ الشــرــعــيــةــ الــتــيــ يــمــثــلــهــ الرــئــيــســ عــبــدــ رــبــهــ مــنــصــورــ هــادــيــ وــأــنــصــارــهــ ثــالــثــاــ، وــيــبــدــوــ أــنــهــمــ فــيــ طــرــيقــهــمــ لــتــحــقــيقــ جــمــيــعــهــهــ الــأــهــدــافــ دــفــعــةــ وــاــحــدــةــ، وــبــالــتــنــســيقــ الــمــرــيــحــ. تــفاــوضــ الــســلــطــاتــ الســعــوــدــيــةــ مــعــ حــرــكــةــ "ــأــنــصــارــاــ"ــ بــشــكــلــ مــباــشــرــ لــلتــوــصــلــ إــلــىــ وــقــفــ لــإــطــلاــقــ النــارــ يــعــنــيــ ســقــوــطــ "ــالــشــرــعــيــةــ"ــ الــيــمــنــيــةــ الــمــمــثــلــةــ بــالــرــئــيــســ هــادــيــ، وــخــروــجــهــ مــنــ الــمــعــاــلــةــ الســيــاســيــةــ الــيــمــنــيــةــ وــرــبــاــ إــلــقــلــيمــيــةــ أــيــضاــ، وــتــكــرــيســ الــاعــتــرــافــ بــالــشــرــعــيــةــ الــحــوــثــيــةــ الــجــدــيــدــةــ "ــالــمــنــتــصــرــةــ"ــ فــيــ هــذــهــ الــحــرــبــ بــعــدــ صــمــودــ اــســتــمــرــ حــوــالــيــ خــمــســ ســنــوــاتــ تــقــرــيــبــاــ.

بالــقــيــاســ إــلــىــ مــعــظــمــ التــجــارــبــ الســابــقــةــ، تــبــدــأــ الــمــفــاــوــضــاتــ لــإــنــهــاءــ الــحــرــوبــ بــكــيــفــيــةــ تــكــرــيســ التــهــدــةــ وــوــقــفــ إــطــلاــقــ النــارــ فــيــ مــيــادــيــنــ الــقــتــالــ جــزــئــيــاــ أــوــ كــلــيــاــ، ثــمــ تــنــتــقــلــ فــيــ الــمــرــحــلــةــ الــثــالــثــةــ إــلــىــ خطــواتــ التــطــبــيــعــ وــتــعــزــيزــ التــقــةــ بــيــنــ الطــرــفــيــنــ الــمــتــحــارــبــيــنــ، وــفــيــ الــمــرــحــلــةــ الــثــالــثــةــ يــتــمــ الــاــنــتــقــالــ إــلــىــ بــحــثــ الــحــلــلــوــلــ الــنــهــائــيــةــ، الســيــاســيــةــ وــالــاــقــتــصــادــيــةــ (ــالــتــعــوــيــضــاتــ)ــ وــتــبــادــلــ الــعــلــاــقــاتــ الدــبــلــوــمــاــســيــةــ، وــالــاعــتــرــافــ الــمــتــبــادــلــ.

في العادة يتم الانتقال من المــوــاجــهــاتــ الــعــســكــرــيــةــ إــلــىــ مرــحــلــةــ التــفــاــوــضــ لــلتــوــصــلــ إــلــىــ الــحــلــلــوــلــ الســلــمــيــةــ الــنــهــائــيــةــ بــعــدــ التــوــصــلــ إــلــىــ قــنــاعــةــ بــأــنــ الحــســمــ الــعــســكــرــيــ"ــ لــيــســ مــمــكــنــاــ مــنــ قــبــلــ الطــرــفــيــنــ الــمــتــحــارــبــيــنــ، بــعــدــ وــصــولــهــمــ إــلــىــ مرــحــلــةــ الــإــنــهــاكــ الــكــامــلــ، وــعــدــمــ قــدــرــتــهــمــ عــلــىــ تــحــمــلــ الــخــســائــرــ الــبــشــرــيــةــ وــالــمــادــيــةــ، وــلــكــنــ فــيــ حــرــبــ الــيــمــنــ، الصــورــةــ تــبــدــوــ مــخــتــلــفــةــ، فالــطــرــفــ الــذــيــ بــأــدــأــهــاــ، أيــ التــحــالــفــ الــســعــوــدــيــ"ــ الإــمــارــاتــيــ"ــ، بــيــنــماــ الــطــرــفــ الــمــدــافــعــ، أيــ تــحــالــفــ حــرــكــةــ الــحــوــثــيــنــ، بــاتــ أــكــثــرــ قــوــةــ وــصــلــاــبــةــ، وــيــمــلــكــ الــقــدــرــةــ عــلــىــ الــمــفــاــجــاتــ، مــعــ أــنــ الــحــرــبــ أــوــشــكــتــ عــلــىــ إــنــهــاءــ عــامــهــاــ الــخــامــســ، وــيــتــضــحــ هــذــاــ التــطــوــرــ مــنــ هــجــمــاتــ الــصــارــوــخــيــةــ وــالــجــوــيــةــ.

المُسيّرة الثالثة الأخيرة على المُنشآت النفطيّة الأضخم في المملكة، ونجاها في تحرير مُعظم المناطق في محور نجران وأسر حوالي 3000 شخص والاستيلاء على مئات العربات المُدرّعة وقتل وإصابة 500 جندي سعودي ويمني من الطّرف الآخر وتهديده باستهداف المزيد على الأهداف السعودية والإماراتية، والانتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم بشّراسة.

الرّدّ السعوديّ الرسميّ على مُبادرة السيد المشاط المُتمثّل في عرضٍ جزئيٍّ لوقف إطلاق النار قُوبل بالرفض في البداية، ولكنّه رفضَ غير قاطع، وجرى التّراجع عنه خاصّةً من قبل الجناح المُعتدل في الحركة الحوثية، الذي بات أقدر على تفهّمه لأنّه جاء في إطار "الدرج"، وكمُقدّمة لفتح الحوار الجدي، وامتداده كُلّ الجهات، سعيًا لتجذّب إهانة الخصم وتسهيل مسيرة تراجعاً له.

مرةً أخرى نقول إنّ قواعد الاشتباك تغيّرت، ليس في الحرب اليمنية فقط، وإنّما في منطقة الشرق الأوسط برمّتها، لأنّ محور المقاومة بات يملك اليد العلّيا سياسياً وعسكرياً بعد فشل العقوبات الأمريكية في تركيع إيران، وغياب الرّد على هجمات "أنصار الله" القوية في قلب العميق الذيّيّ السعوديّ، وانهيار التّحالف السعوديّ في محور نجران.

في ظل انشغال مصر في أزمة وجوديّة بدأ تطويلاً برأسها بقوّةٍ من الجنوب مُتمثّلةً في إصرار إثيوبيا على المُضي قدماً في تشغيل سد النّهضة وملاء خزاناته في غضون ثلاثة أعوام مما يهدّد ملايين الفلسطينيين المصريين بالمجاعة، وفشل بنيامين نتنياهو في الفوز الحاسم في الانتخابات الإسرائيليّة الأخيرة، وازدياد شدة خناق حبل العزل حول رقبة دونالد ترامب، وتراجع احتمالات فوزه في الانتخابات الرئاسيّة المُقبلة، وتعاظم قوّة إيران ومحورها العسكريّ، وإعادة فتح "خط الحرير العسكري" الذي يمتد من الصين حتى الضاحية الجنوبية في بيروت على صفاف المتوسط، يجب أن تضع "المُراجعات" السعودية كُلّ هذه التطوّرات في عَين الاعتبار، وتخلّى عن مُعظم، إن لم يكن كُلّ السياسات السابقة التي أوقعتها في هذا الوضع الخارج.

نتمنّى أن يتوقف التّحالف السعوديّ الإماراتيّ عن تهنة اليهود بعيد رأس السنة اليهودية، ولا يمتد إلى تهنة إسرائيل بذكرى "عيد" قيامها، أو بالأحرى، اغتصابها للأراضي العربيّة المُحتلة، فهل تجد تمذّيناً بهذه آذاراً صاغية؟ نأمل ذلك لأنّ البديل الآخر، أيّ المُضي قدماً في هذا الطريق سيكون كارثيّاً.. والأيّام بيننا.